Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولكنه كان عاجزاً بسبب مزاجه وسوء حظه، أن يرى أي شيء ليس رديئاً. لقد كان اعتقاده الراسخ أن الحاضر سيء كله وأن الماضي جيد - والأبعد هو الأفضل. ويخبرنا في آواخر الهجائيات التي كتبها، عندما أخذ بيده ذلك المعلم المسن الصارم، وعندما ذَلَّلَتْ شهرة كتاباته قسوة الحياة له، تحول سخطه إلى مزاج معتدل. كتب في إحدى هجائياته المبكرة «أنى للبائس الحزين أن ينشد الأغاني؟ معدة هوراس كانت ممتلئة تماماً». ولاشك أن الاثنين بسجلاتهما المختلفة قدّما تفسيراً لعصرهما له وزنه. فالسخط على أخطاء خاصة لإنسان ما اختلط بالسخط على أخطاء العالم.

تاسيتوس، معاصر جوفينال وكاتب بعيد الشهرة، واحد أعظم كتاب روما، عانى أيضاً ورأى الحياة شراً في معظمها، ولاهوادة فيها تقريباً. لم يكن فقيراً مثل جوفينال، لقد تحدر من أسرة غنية مرموقة المكانة، ولكن القسم الأول من صباه مر اثناء زمن كان فيه ظرف الدولة الرومانية على اسوأ ما يمكن أن يكون. لقد كان في سن المراهقة عندما قتل نيرون، وفظائع سنوات نيرون الأخيرة لابد أن تكون متداولة في فترة شبابه. وقد اكتملت رجولته عندما اعتلى العرش دوميتان، وقد انصرمت اعظم سني حياته عندما مات ذلك الوحش. لقد كانت سنوات صمت عند الجميع باستثناء الثرثارين المنحطين. كتب تاسيتوس «لقد عرفت العصور القديمة طعم الحرية وعرفنا نحن طعم العبودية. وإذْ تستلبنا سلطة الاستخدام العام للكلام والاستماع، فلابد أن نفقد ذاكرتنا مع صوتنا، ونبذل قصارى جهدنا أن ننسى وأن نكون طرشانا. الآن، أخيراً (بعد موت دوٰميتان) عادت الينا انفاسنا، لكن العبقرية والعلم من الاسهل التخلص منهما على أن نستعيدهما. خمسة عشر عاماً انسلخت من حياتنا، بل من انفسنا». بروح هذه الكلمات الرزينة والمثيرة يكتب تاريخه.